فَأضْحَى حَديثي بالصبابةِ مُسنداً بِمُرْسلِ دَمْعي من جُفون دَوَامِ

ومن أخرى: [من البسيط]

ما خِلْتُ بَرْقاً بأرجاءِ الشّآم بَدا إلّا تَنفَّسْتُ مِنْ أشواقي الصُّعدا

وَلا شَمَمْتُ عَبيراً مِنْ نَسِيمكُم إلَّا قَضيْتُ بأنْ أقْضي بهِ كَمَدا[1]

١٦

(إبراهيم بن مُحمَّد
ابن خَليل البُرهان الطّرابلسيّ الأصل الشامي المولد والدار الشافعيّ)[2]

ولد في ثاني عشر رجب سنة ٧٥٣ ثلاثٍ وخمسين وسبعمائة بالجَلُّوم بفتح الجيم وتشديد اللام المضمومة. ومات أبوه وهو صغير فكفلته أمه، وانتقلت به إلى دمشق، فحفظ بها بعض القرآن، ثم رجعت به إلى (حلب) فنشأ بها وأدخلته مكتب الأيتام فأكمل به حفظه، وصلَّى به على العادة التراويح في رمضان، وتلا تجويداً على الحسن السايس المصري، وعلى الشّهاب بن أبي الرضيّ، والحرّاني. وقرأ في الفقه على ابن العجمي، وجماعة كالبَلْقيني، وابن المُلقِّن، وفي اللغة على مَجْد الدين صَاحب القاموس، وفي الحديث على الزين العراقي، والبلقيني، وابن الملقن أيضاً، وجماعة كثيرة. وارتحل إلى مصر مرتين لقي بها جماعة من أعيان العلماء، وإلى دمشق، وإسكندرية، وبيت المقدس، وغزة، والرملة، ونابلس، وحماة، وحمص، وطرابلس، وبعلبك. وَرُوي عنه أنه قال: مشايخي في الحديث نحو المائتين، ومن رويت عنه شيئاً من الشعر دون الحديث بضع وثلاثون، وفي العلوم غير الحديث نحو الثلاثين. وقد جمع الكلّ النجم بن فهد في مجلد ضخم، وكذلك الحافظ ابن حَجَر. واستقر بحلب. ولما هجمها تيمورلنك، طلع بكتبه إلى القلعة، فلما دخل البلد، وسلبوا الناس، كان فيمن سلب حتى لم يبق عليه شيء. ثم أسروه وبقي معهم إلى أن رحلوا إلى دمشق، فأطلق ورجع إلى بلده، فلم يجد أحداً من أهله وأولاده. قال: فبقيت قليلاً، ثم توجهت إلى القرى التي حول حلب مع جماعة فلم أزل هنالك إلى أن رجع الطغاة جهة بلادهم، فدخلت بيتي فعادت إليَّ أمتي نرجس، ولقيت زوجتي وأولادي منها. وصعدت حينئذٍ القلعة فوجدت أكثر كتبي فأخذتها ورجعت. وقد اجتهد المترجم له في الحديث اجتهاداً كبيراً، وسمع العالي والنازل، وقرأ البخاري

(١) أقضي به: أموت. الكمد: الحزن الشديد المكتوم.

(٢) ترجمته في: الضوء اللامع: ١/ ١٣٨؛ شذرات الذهب: ٧/ ٢٣٨؛ كشف الظنون: ١٣٠؛ معجم المؤلفين: ١/ ٩٣؛ الأعلام: ١/ ٦٥.

أكثر من ستين مرة، ومسلماً نحو العشرين. واشتغل بالتصنيف، فكتب تعليقاً لطيفاً على سنن ابن ماجه[١]، وشرحاً مختصراً على البخاري سمَّاه (التلقيح لفهم قارئ الصحيح) وهو في أربعة مجلدات (والمُقْتَضَى في ضبط ألفاظ الشفا) في مجلد (ونور النبراس على سيرة ابن سيّد الناس) في مجلدين و(التيسير على ألفية العراقي) وشرحها مع زيادة أبيات في الأصل غير مُستغنًى عنها، و(نهاية السؤل في رواة الستة الأصول) في مجلد ضخم و(الكشف الحثيث عمّن رُمي بوضع الحديث) في مجلد لطيف و(التبيين لأسماء المُدلِّسين) في كراستين و(تذكرة الطَالب المُعلم فيمن يقال إنه مُخضْرَم) كذلك و(الاعتباط فيمن رُمي بالاختلاط). قال السخاوي: وكان إماماً علَّامةً حافظاً خيّراً ديّناً ورعاً متواضعاً، وافر العقل، حسن الأخلاق، متخلقاً بجميل الصفات، جميل العشرة، محبّاً للحديث وأهله، كثيرَ النصح والمحبة لأصحابه، ساكناً منجمعاً عن الناس، مُتعففاً عن التردّد إلى بني الدنيا، قانعاً باليسير، طارحاً للتكلف، رأساً في العبادة والزهد والورع، مُديمَ الصيام والقيام، سهلاً في التحدث، كثيرَ الإنصاف والبِشْر لمن يقصده للأخذ عنه خصوصاً الغرباء، مواظباً على الاشتغال والأشغال والإقبال على القراءة بنفسه، حافظاً لكتاب اللَّه، كثيرَ التلاوة له، صبوراً على الأسماع؛ ربما أسمع اليوم الكامل من غير ملل ولا ضجر. عرض عليه قضاء الشافعية ببلده فامتنع وأصرَّ على الامتناع؛ فصار بعد ذلك كلّ واحدٍ من قاضييها الشافعي والحنفي من تلامذته. واتفق أنه في بعض الأوقات حُوصرت حلب فرأى بعض أهلها في المنام السرّاج البلقيني[٢] فقال له: ليس على أهل حلب بأس، ولكن رُحْ إلى خادم السنَّة إبراهيم المُحدِّث وقُلْ له يقرأ «عمدة الأحكام» ليفرج عن المسلمين. فاستيقظ فأعلم الشيخ فبادر إلى قراءتها في جمع من طلبة العلم وغيرهم، يوم الجمعة بكرة النهار، ودعا للمسلمين بالفرج. فاتفق أنه في آخر ذلك النهار نصر اللَّه أهل حلب. وقد حدّث بالكثير وأخذ عنه الأئمة طبقة بعد طبقة، وألحق الأصاغر بالأكابر، وصار شيخ الحديث بالبلاد الحلبية بلا مدافع. وممن أخذ عنه من الأكابر ابن خطيب الناصرية، والحافظ ابن حجر، وامتحنه فأدخل عليه شيخاً في حديثٍ مُسلسل رام بذلك اختباره هل يفطن أم لا. فتنبه البرهان لذلك وقال لبعض خواصه: إن هذا الرجل يعني ابن حَجَر لم يلقني إلَّا وقد صِرْت نصف رجلٍ. إشارة إلى أنه قد كان عرض له قبل ذلك الفالج وأُنسي كلّ شيء حتى الفاتحة، ثم عُوفي وصار يتراجع إليه حفظه كالطفل شيئاً فشيئاً. ولما دخل التقيّ الحصني حلب، بلغني أنه لم يتوجه

(١) هو أبو عبداللَّه، محمد بن يزيد الربعي القزويني، ابن ماجه: إمام في علم الحديث، من أهل قزوين. توفي سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٧م. (الأعلام: ٧/ ١٤٤).

(٢) توفي سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٣م.

لزيارته لكونه كان ينكر على لابسي الأثواب النفيسة وعلى المتقشفين. فما وسع المترجم له إلَّا المجيء إليه فوجده نائماً بالمدرسة الشرفية، فجلس حتى انتبه. ثم سلّم عليه فقال له: لعلَّك التقيّ الحِصْني. ثم سأله عن شيوخه فسماهم. فقال له: إن شيوخك الذين سميتهم عبيد ابن تيمية أو عبيد من أخذ عنه، فما بالك تحطُّ أنت عليه. فما وسع التقي إلّا أن أخذ نعله وانصرف ولم يجسر يردّ عليه. ولم يزل على جلالته وعلوِّ مكانه حتى (مات) مطعوناً في يوم الاثنين سادس عشر شوّال سنة ٨٤١ إحدى وأربعين وثمانمائة وهو يتلو، ولم يغب له عقل. ودفن بالجبيل عند أقاربه.

١٧

(إبراهيم بن مُحمَّد بن عبداللَّه ابن الهادي بن إبراهيم بن عليّ بن المُرتضى الوزيري)

العلّامة الكبير، مصنف «الهداية» و«الفصول اللؤلؤية». (ولد) تقريباً سنة ٨٦٠ ستين وثمانمائة. وقرأ بصنعاء وصعدة على جماعة من الشيوخ في الأصول والعربية والفقه والحديث والتفسير وسائر الفنون. ومن مشايخه السيد علي بن مُحمَّد بن المرتضى، والسيد عبداللَّه بن يَحْيَى بن المهدي، والإمام المتوكل على اللَّه المُطهّر بن مُحمَّد بن سُليمان، والقاضي عليّ بن مُوسَى الدواري، والغزولي المصري الواصل إلى اليمن، وغير هؤلاء. وبرع في جميع الفنون، وصار المرجع في عصره والمشار إليه بالفضيلة. وله مصنفات أشهرها وأجلها ما تقدم. وله نظم رائق، فمنه.

قوله: [من الطويل]

وَإنّـي وَحُـبِّـي لِـلـنـبـيِّ وآلـهِ ... وَما اشْتَملتْ مِنّي عَليْه ضُلوعُ
وَإِنْ أفلَتْ مِنهم شُموسٌ طَوالعٌ ... يكونُ لها بعدَ الأفولِ طُلوعُ[1]

وقد ترجمه السخاوي في «الضوء اللامع» فلم يزد على أن قال: السيد إبراهيم بن مُحمَّد بن عبداللَّه الصَّنعاني الآتي أبوه وابنه عليّ؛ كهلٌ فاضلٌ من أدباء صنعاء الموجودين بها بعد السبعين وثمانمائة. أنشدني ولده المشار إليه عنه من قوله في أبيات: [من الطويل]

ولا صَدّ عنِّي مَاجدٌ ذو حَفيظةٍ ... وَلا هَجرتْني زَيْنَبٌ وسُعادُ[2]
ولَكنَّ شِعْري مِثْلَما قالَ شاعرٌ ... حَكيمٌ زُهيرٌ دُونه وَزِيادُ[3]

(١) أفلت: غابت، والأُفول: الغياب. (٢) الماجدُ: الشَّريف الخَيِّر.
(٣) زهير: هو زهير بن أبي سلمى، الشاعر الجاهلي المتوفى نحو ١٣ق.هـ/ نحو ٦٠٩م. =